الجعل والجعليون في السودان
(قراءة مغايرة للدلالات التاريخية لمصطلح أصول الهوية العربية)

د. عـــوض شـــبا

مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

المستخلص:

سـعت هـذه الورقـة إلى إثـارة أسـئلة جديـدة حـول بعـض المسـلّمات في تاريـخ السـودان، رغـم مـا يحيـط بهـا مـن حساسـيات معرفيـة واجتماعيـة، وذلـك مـن خـلال إعـادة النظـر في مدلـول مصطلـح (جعـل وجعليـون)، خـارج الإطـار التقليـدي الـذي يحصرهـا في الدلالـة عـلى قبيلـة الجعليـين في شـمال السـودان. واعتمـدت الدراسـة المنهـج التاريخـي التحليـلي، مسـتندةً إلى قـراءة مغايـرة للمصادر الشـفاهية والكتابيـة، في سـياق التحـولات التـي أعقبـت انهيـار مملكـة المقـرّة. وخلصـت الورقـة إلى إمكانيـة تقديـم فرضيـة جديـدة لتشـكّل الهويـة والكيانـات السياسـية في التاريـخ السـوداني، قابلـة للنقـد والتعديـل، بمـا يفتـح مجـالًا لإعـادة بنـاء تاريخـي برؤيـة مختلفـة.

الكلمات المفتاحية: الجعل، الجعليون، السودان، قراءة، الهوية العربية

The Jaal and the Jailun in Sudan
(A different read in of the historical connotation of the tram "origins of Arab identity")

Dr. Awad Shaba

Abstract:

This paper seeks to raise new questions about certain established assumptions in Sudanese history, despite the intellectual and social sensitivities surrounding them, by reexamining the meanings of the terms "Jaʿl and Jaʿaliyyin" beyond their conventional usage as references to the Jaʿaliyyin tribe of northern Sudan.The study adopts a historical-analytical approach, drawing on a critical reading of both oral and written sources within the context of the transformations that followed the collapse of the Kingdom of Makuria. It concludes that a more dynamic interpretation of identity formation and political entities in Sudanese history is possible, opening the way for reinterpreting certain historical phenomena through a broader conceptual framework.

Keywords: Al-Jaal,Al-Jaalyoun ,Sudan, reading, Sudanese ientity

المقدمة:

ورد اسم جعل الدفار، وكذلك مملكة الجعل، في المصادر السودانية الشفاهية والكتابية، كما استُخدم المصطلح للدلالة على القبيلة السودانية المعروفة في شمال السودان، التي تنتسب – وفق الروايات النَّسَبية المتداولة – إلى العباس بن عبد المطلب.

تهدف هذه الورقة إلى إعادة النظر في مصطلح الجعل والجعليون من حيث دلالتها التاريخية، من خلال قراءة مغايرة لمفهومها ولسياقات استخدامها. وتنطلق الدراسة من فرضية تاريخية تهدف لإثارة أسئلة جديدة حول تاريخ السودان الوسيط والمتأخر، وخاصة ما يتصل بالكيانات السياسية التي ظهرت عقب انهيار مملكة المقرة.

وقد سبق للكاتب أن طرح ملامح هذه الفرضية في كتابيه اللذين تناولا الكيانات السياسية التي أعقبت سقوط المقرة، وأطلق عليها وصف خلفاء مملكة المقرة، وهما: (الدناقلة والشايقية) و(الدفار: المملكة المنسّية). ويحاول في هذه الورقة إلى إعادة صياغة الفرضية بصورة أكثر تحديدًا ووضوحًا، مع التأكيد على أنها أطروحة مفتوحة للنقاش والحوار العلمي، وقابلة للمراجعة في ضوء ما قد يستجد من معطيات تاريخية أو قراءات نقدية جديدة.

كما تتناول الدراسة – عرضًا – بعض المصطلحات ذات الصلة، مثل السواكرة، فضلًا عن الإشارة إلى نماذج تاريخية مساندة للفرضية، من بينها الجهود المنسوبة إلى الملك شاويش في سياق تدعيم البناء التاريخي الفرضية الذي تتناوله هذه القراءة. من خلال المحاور التالية:

- نقد نظرية الأصل العربي للجعليين
- كلمة جعل من خلال السياق التاريخي.
- الجعل ومحاولات إحياء مملكة المقرة

نقد نظرية الأصل العربي للجعليين:

اشتهر لدى عدد كبير من الكُتّاب السودانيين، خاصة المهتمين بعلم الأنساب، أن الجعليين يُعدّون من أكبر المجموعات العربية في شمال السودان، وينتسبون إلى العباس بن عبد المطلب عمّ النبي ﷺ. غير أن هذا النسب تعرّض لنقد واسع من عدد من الباحثين، ونكتفي هنا بعرض آراء بعض أبرز الدارسين لتاريخ العرب في السودان.

من أهم هؤلاء الإداري والمؤرخ البريطاني هارولد ألفريد ماكمايكل (H. A. MacMichael)، الذي تناول الجعليين بقوله إنهم يُعدّون من ضمن المجموعات الرئيسية المعروفة التي يُنسب إليها العرب في السودان، خاصة لدى النسّابة المحليين، وهم الأكثر عدداً وانتشاراً. غير أنه أشار في الوقت نفسه إلى أنهم أكثر القبائل تفككاً من حيث البنية الداخلية، وأن المجموعات المصنفة تحت هذا الاسم لا يمكن اعتبارها قبيلة واحدة بالمعنى الدقيق، بل يجمعها ادعاء الانتساب إلى العباس عمّ النبي ﷺ، حتى أصبحت كلمة "جعلي" في مدلولها الشامل مرادفة لـ"عباسي".

ويضيف ماكمايكل أن هذا اللقب استعارته عائلات عديدة من مناطق تمتد من الحبشة حتى بحيرة تشاد، حيث يعتبر أفرادها أنفسهم – أو يتظاهرون – بالانحدار من العباس. ولا يكتفي

ماكمايكل بالتشكيك في صحة هذا النسب، بل يرى أن الرواية المتداولة حول أصل الاسم ذاته تشير إلى ضعفها؛ إذ تُروى قصة عن رجل يُدعى إبراهيم، يُقال إنه من أحفاد العباس، وأنه اشتهر بكرمه في زمن مجاعة، فكان يقول للناس "جعلناكم" (أي تكفّلنا بكم)، فلقّبوه بـ"جعل"، ومن ثم تجمّع حوله الأتباع. ويرى ماكمايكل أن هذه الرواية أقرب إلى الخيال، وأن ما يُسمى بالجعليين ليس سوى تجمّع يضم أخلاطاً من قبائل شتى.

ويشير كذلك إلى أن مصطلح "جعليين" بمفهومه النسبي المبهم كان يُطلق على مجموعات واسعة من القبائل النوبية في الشمال، مثل الجوابرة والبديرية، بل والشايقية والبطاحين والجوامعة وبديرية كردفان وغيرهم. ويرى أن هذا التمدد الواسع للهوية "الجعليّة" أتاح لبعض المجموعات – مثل الهمج في سنار – الادعاء بأن أجدادهم من الجعليين الذين تزوّجوا من نساء من جبال البرن، كما نشأت ادعاءات بوجود صلات قربى بين الجعليين وحكام تقلي ودارفور ووداي وبرنو[1].

وفي السياق نفسه، انتقد الباحث البريطاني سبنسر ترمنغهام (Spencer Trimingham) استخدام مصطلح "عرب" في السودان بوصفه توصيفاً إثنياً، واعتبره مصطلحاً غامضاً؛ إذ إن عدداً من القبائل النوبية والبجاوية، بل وبعض المجموعات الإفريقية الخالصة مثل الفونج، تدّعي جميعها الانتساب إلى أصول عربية. ويرى أن أشجار الأنساب لا يمكن الوثوق بها مطلقاً، لأنها في كثير من الأحيان مصطنعة بوضوح، وأن العربي في السودان المعاصر قد يكون إفريقياً خالصاً لا أثر فيه لأصل عربي[2].

كما أشار الباحث لودفيغ كورباتشيك إلى أن المصادر المتاحة لدراسة التكوين التاريخي لسكان النوبة الشمالية يجب التعامل معها بتحفظ شديد، لأنها تقوم في الأساس على أساطير وروايات نسب لم تتبلور في صورتها الراهنة إلا في فترات متأخرة، وغالباً ما حُفظت شفوياً أو في مخطوطات باعتبارها ممتلكات ذات قيمة اجتماعية كبرى. ويذكر كورباتشيك أن أشهر من جمع هذه الأنساب هو السمرقندي في القرن السادس عشر الميلادي، وأن كتابه المتعلق بأنساب الفونج كان يهدف إلى إقناع السلطان العثماني بشرعية النسب العربي الإسلامي للنوبيين، وهو هدف سياسي يجعل كثيراً من تلك الأنساب موضع شك[3].

أما الباحثان ريتشارد أوفاهي (R. S. O'Fahey) وجاي سبولدنغ (Jay Spaulding)، فيرجعان تبنّي السكان للأنساب العربية إلى أسباب اقتصادية واجتماعية. ويذهبان إلى أنه منذ القرن الثامن عشر الميلادي ظهرت شرائح تجارية جديدة تحالفت مع قيادات صوفية وفئات من خريجي الأزهر، وشكّل هذا التحالف نواة طبقة وسطى سرعان ما كوّنت لنفسها قاعدة سياسية واقتصادية وأيديولوجية. ولتعزيز مكانتها الاجتماعية، تبنّت هذه الطبقة أنساباً عربية وإسلامية مرموقة تعود إلى صدر الإسلام، وأنشأت لنفسها أشجار نسب تُكسبها وجاهة ورمزية دينية[4]. وفي ذات السياق يقدم سمير محمد نقد سببا إضافياً وهو أن تبنى هذه الأنساب يوفر حماية لهذه المجموعات في ظل الأوضاع الأمنية والسياسية غير المستقرة في تلك الفترة[5]. وبعد عرض هذه التفسيرات الموضوعية لظاهرة ادعاء الأنساب العربية، يتبين أن مسألة الأصل العربي للجعليين – ومنهم

البديريـة – تظـل قضيـة إشـكالية، تتداخـل فيهـا المعطيـات التاريخيـة بالاعتبـارات السياسـية والاجتماعيـة والرمزيـة، وتسـتوجب قـراءة نقديـة تتجـاوز ظاهـر روايـات النسـب إلى تحليـل السـياقات التـي أنتجتهـا.

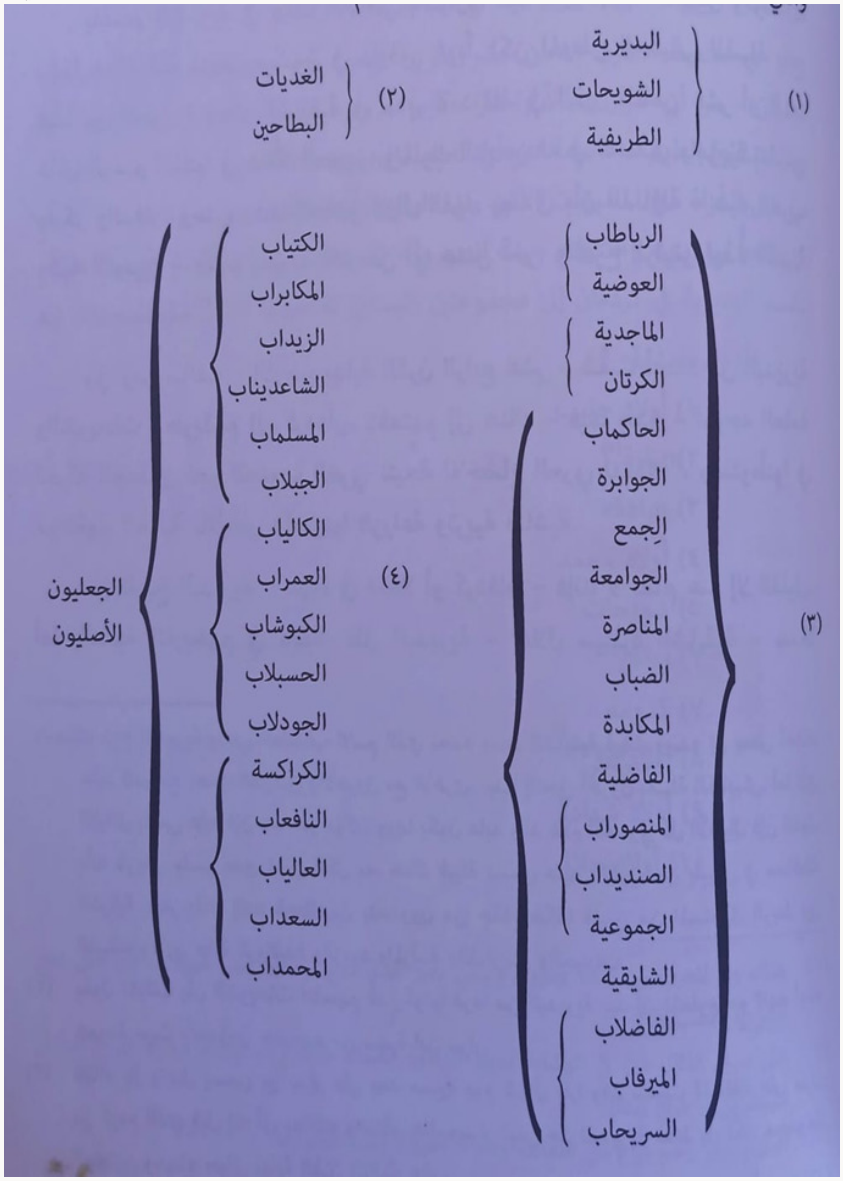

المجموعة الجعلية[6]:

مصطلح جعل من خلال السياق التاريخي:

إن التشـكيك الـذي أُثـير حـول مدلـول مسـمى الجعليـين، ونقـد نظريـة الأصـل العـربي لهـم – وهو في تقديرنـا رأيٌ معتـبر – يدفعنـا إلى البحـث في مصطلـح "جعـل" خـارج إطـار التصنيـف القبـلي العـربي،

والنظر إليه بوصفه مصطلحاً ذا مضمون سياسي أو اجتماعي في سياقه التاريخي.

ومن أقدم الإشارات إلى جعل كمسمى يرتبط بكيان ذي طابع سياسي ما ورد في سياق الصراع مع العنج الذين سيطروا على الأوضاع السياسية في مملكة علوة، وتمركزوا في عاصمتهم سوبا، وامتد نفوذهم شمالاً حتى الشلال الرابع في القرن الرابع عشر الميلادي[7]. وقد تصدت لهم مجموعة عُرفت باسم جعل. فقد ورد في مخطوطة النبر: "... أتت عليهم قبيلة جعل، وتغلبوا على ملك العنج بالظفر، وطردوهم من تلك الديار، وأتتهم الفونج واستولت على جميع البلاد، وأذعنت لهم القبائل بالطاعة، وصارت جعل عندهم من جملة الرعية، ولكن لهم المزية على غيرهم، فولوهم فيما هم فيه من البلاد..."(8)، وتشير هذه الرواية إلى أن جعل لم تكن مجرد تسمية نسبية، بل جماعة ذات حضور عسكري وسياسي في مرحلة انتقالية مضطربة.

كما أورد الرحالة روبيني في الربع الأول من القرن السادس عشر إفادة مهمة، إذ ذكر مملكة جعل التابعة لمملكة سوبا وتحت حكم عمارة. ورغم أن كثيراً من المؤرخين السودانيين نسبوا هذه الإشارة إلى مملكة الجعليين المعروفة لاحقاً، فإن استخدام لفظ "جعل" هنا يثير احتمال وجود رابط ما بين الاسمين، أو أن المصطلح كان أوسع دلالة من مدلوله القبلي المتأخر(9).

من هم هؤلاء "الجعل"؟ لا نملك إجابة قاطعة، غير أننا نحاول تقديم تصور مبدئي قابل للنقاش، ينطلق من دراسة معنى الاسم ودلالاته في سياقه التاريخي، خاصة في فترة التحولات السياسية والاجتماعية التي أعقبت تدهور الممالك النوبية المسيحية.

نميل إلى أن أصل الاسم نوبي، باعتبار أن اللغة السائدة في تلك المنطقة وتلك الفترة كانت اللغة النوبية الدنقلاوية. فكلمة "جال" (Gal) – مع ملاحظة أن نطق الألف يميل إلى العين في الدنقلاوية – تعني الثائر أو الذي يرفع صوته غضباً. وإذا صحّ هذا الاشتقاق، فإنه يتسق مع الأحداث السياسية آنذاك، حيث واجه حكم العنج رفضاً شعبياً تبلور في ثورة ضدهم، وربما أُطلق وصف الجعل على تلك الجماعات الثائرة.

وقد برزت آراء متعددة حول أصول الجعل، إلا أن معظمها يشير إلى جذور نوبية. ويُقال في بعض الروايات إنهم من رقيق النوبة، كما يرد في التراث الشعبي لقبيلة المناصير بولاية نهر النيل – بحسب ما ذكرته فاطمة أحمد علي – أن من أشهر حكامهم الملك السوكري، وهو من الجعل، وقد قُتل على يد آل قمر بمساعدة الفونج في ثورة المناصير الشهيرة ضد أسرة السواكرة، التي تُرجع بعض الروايات أصولها إلى رقيق النوبة، بينما تشير روايات أخرى إلى أن السواكرة ينتسبون إلى الجعل، وأنهم من نوبة الشمال[10]. وتكشف هذه الروايات أن الذاكرة الشعبية ما تزال تحتفظ بمخزون مهم من الإشارات المتعلقة بالجعل، كما يُلاحظ أن عدداً من ملوك وزعماء الكيانات التي خلفت مملكة المقرة يرد في سلسلة نسبهم اسم أو لقب جعل أو جعلي، مما يعزز فرضية أن المصطلح كان يحمل دلالة تتجاوز الإطار القبلي الضيق؛ تستوقفني هنا أيضاً العلاقة بين الجعل والسواكرة. فقد ورد اسم السواكرة في بلاط مملكة المقرة، كما في سيرة ملك دنقلا سمامون (1288–1293م)، حيث جاء أنه "استمال إليه السواكرة"(11)، مما يدل على أن هذه الفئة

كانت تمثل طبقة مؤثرة في البلاط الملكي. ويشير أحمد الياس إلى أن السواكرة في السلطنة السنارية (1504–1821م) كانوا يشرفون على الأمراء في العاصمة، ويُعرف رئيسهم بـ(مقدم السواكرة)، وأن هذا اللقب كان معروفاً أيضاً في مملكة المقرة. ويُستدل من ذلك على وجود استمرارية مؤسسية بين العهدين المقري والسناري، وأن اسم السواكرة ظل متداولاً حتى اليوم، سواء كلقب أسري أو كمسمى قبلي في شمال السودان(12).

إذا وضعنا هذه المعطيات في سياقها الأوسع، نجد أن هارولد ألفريد ماكمايكل أشار إلى هجرة مجموعة من المناصير إلى دارفور قبل قرنين تقريباً، واستقرارهم في مناطق مثل سانية كرو وتولو وجبل حلة، وتسمّيهم باسم مناصرة. كما ذكر أنالمقابضة إحدى فروع الغديات، ويرجّح صلتهم بالبديرية، ويظهر اسمهم أحياناً في النسبة كقبيلة جعلية ذات قربى بالمناصرة(13)، ومن اللافت أن المقابضة (أو المقابدة) تُعد من المجموعات السكانية الأصلية في منطقة الدفار بمنصوركتي، وهو ما قد يعزز الصلة بين الجعل والدفار من جهة، وبين هذه المجموعات ذات الامتداد النوبي من جهة أخرى.

استناداً إلى ما تقدم، يمكن ترجيح أن مسمى جعل كان يُطلق على مجموعة سكانية واسعة الانتشار، ترجع في أصولها إلى النوبيين، ولها صلة وثيقة بمنطقة الدفار. غير أنه يصعب تحديد نطاق جغرافي دقيق لهم في الإقليم النيلي.

وقد ذكر روبيني أن مملكة الجعل تقع شمال سوبا بمسيرة عشرة أيام. وإذا افترضنا أن متوسط المسيرة اليومية يقارب 30 كيلومتراً، فإن المسافة التقديرية تقارب 300 كيلومتر، لكن يظل التساؤل قائماً: هل كان يقصد مركز المملكة أم أطرافها؟

وهنا يبرز تساؤل جوهري: لماذا يقترن اسم الدفار مراراً باسم الجعل؟ وهل كانت الدفار مركزاً لهؤلاء الجعل الثوار؟ وما الأهمية الدينية أو السياسية أو الرمزية التي جعلت من الدفار موضعاً محورياً في هذه الذاكرة التاريخية؟

إن هذه الأسئلة لا تزال مفتوحة، لكنها تشير إلى أن مصطلح جعل قد يكون في أصله توصيفاً سياسياً – اجتماعياً لحركة أو جماعة ثائرة ذات جذور نوبية اختطلت بمجموعات عربية، قبل أن يتحول لاحقاً إلى هوية نسبية وقبلية في سياقات تاريخية مغايرة.

جعل الدفار ومحاولات إحياء مملكة المقرة: ورد مسمى جعل الدفار في المرويات الشفاهية، كما وردت عبارات مثل: ملوك الدفار، ودنقلا الدفار، وجعل الدفار في الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، وفي مخطوط خلاصة الاقتباس لمؤلفه أحمد بن إسماعيل الأزهري. وتحمل عبارة جعل الدفار في هذا المخطوط دلالات سيادية واضحة، تشير إلى حق هذه المجموعة – أحفاد الملك موسى (مسوا الكبير) – في الحكم والملك، وهم الذين يُعرفون بالبديرية، حكام مملكة الدفار[14].

وتُعد منطقة حصن الدفار من المواقع الاستيطانية القديمة والمهمة، خاصة في الفترة التي أعقبت نهاية مملكة مروي في منتصف القرن الرابع الميلادي، وذلك بحسب نتائج الدراسات

الأثرية. وبناءً على ذلك، قد يصح القول إن مركز الدفار أقدم من مركز دنقلا العجوز، وإن بدايات تكوين المملكة ربما انطلقت من الدفار[15].

ويقودنا هذا الطرح إلى التساؤل حول الكيفية التي قامت بها مملكة المقرة، وسبب اتخاذها دنقلا العجوز – القريبة من الدفار – عاصمة لها. كما يطرح سؤالاً آخر: أين كان مركز تجمع الأسرة الملكية والمجموعة التي نجحت في إقامة هذه المملكة؟ وهل يمكن القول – مبدئياً – إن مركز التجمع الأول كان في الدفار، استناداً إلى المرويات الشفاهية ودلالات الاسم؟ وهل كانت الدفار مركزاً لتجمع الثوار المعروفين بجعل الدفار، لاستعادة ملك آبائهم وأجدادهم، لتغدو بذلك منطلقاً لبداية المملكة وملهماً لنهضة سياسية جديدة؟

نؤكد أن هذا الطرح يمثل فرضية تاريخية قابلة للنقاش، وخاصة أن منطقة الدفار تتميز بالأهمية التاريخية عبر الحقب المختلفة، ويبدو أنها كانت إحدى المراكز الدينية القديمة ذات التأثير، ثم لعبت دوراً مهماً في تاريخ السودان الوسيط، خاصة في فترة قيام وتكوين مملكة المقرة وعاصمتها دنقلا العجوز في القرن السادس الميلادي. وربما أسهمت كذلك في محاولات إحياء المملكة بعد تدهورها في بدايات القرن الرابع عشر الميلادي، من خلال ما عُرف بثوار الدفار (جعل الدفار).

وقد يتضح الأمر بصورة أكبر عند النظر في الكيانات السياسية التي قامت في إقليم الشايقية، إذ تشير غالب الروايات إلى أن الحكم في هذا الإقليم – ممثلاً في مكوك الشايقية – كان ينفرد به من حمل لقب جعل، ويستفاد ذلك مما أوردته فاطمة أحمد علي في كتابها ملوك الجزر السبعة، حيث ذكرت أن الحكم كان في أولاد كدنقا بن شايق، واسمه محمد، وأمه آمنة بنت عيسى ملك مملكة كوكا بمنطقة المحس. وقد لقبه أهل أمه النوبة بـ"كدنقا"، وتعني الولد البكر، وعُرف أولاده وأحفاده بالكندقاب، وأوصى ملوك كوكا شايق بأن يجعل الملك لكدنقا وذريته، وفق العرف السائد لديهم في توريث الحكم لابن البنت. فاحترم الأمير شايق رغبتهم، وظل مكوك الشايقية من أولاد كدنقا. ومنهم شاويش الذي كوَّن مملكة الجعل العمراب في أمري، وتوارثها أحفاده حتى الغزو التركي للسودان عام 1821م. ومن أشهر ملوكها الملك السوَّكري(16)، كما يرد اسم "جعل" في عدد من الأسر الحاكمة عند الشايقية، مثل: جعل الحنكاب، وجعل أمري، وكذلك عند الدناقلة.

يمكن تقديم رؤية عامة لمحاولات إعادة إرث المملكة من خلال تحالف الكيانات السياسية لخلفاء مملكة المقرة، المتمثلة في مكوك وملوك دنقلا والشايقية، وجهود الملك شاويش (أو شاؤس) حفيد الملك كدنقا الجعلي في هذا السياق، فبعد انهيار المنظومة الملكية لمملكة المقرة، نشأت عدة ممالك صغيرة، كانت في الغالب هي الوحدات التي شكّلت المملكة سابقاً ثم استقلت لاحقاً، وعُرفت بممالك دنقلا والشايقية. وشهدت هذه المرحلة نزاعات وغارات متبادلة، خاصة غارات الشايقية على دنقلا العجوز والخندق وأرقو، مما أثار الرعب في وادي النيل.

وتذكر الروايات أن حاكم الخندق، بشير الخندقاوي، حفر خندقاً عميقاً حول المدينة، ونصب فخاً عسكرياً للشايقية، مما أدى إلى مقتل عدد من فرسانهم. كما تشير روايات أخرى إلى اتحاد ممالك دنقلا الجنوبية تحت قيادته، وتمكنهم من إلحاق هزيمة بالشايقية بقيادة شاويش

في معركة عند القولد. وكادت معركة أخرى تقع عند الغريبة، لولا توسط علماء البديرية الذين نجحوا في إبرام صلح وتحديد منطقة الضيقة حداً فاصلاً بين الدناقلة والشايقية. وفي المقابل، تشير بعض الروايات إلى خضوع ممالك دنقلا الجنوبية لنفوذ الشايقية، استناداً إلى وثائق محلية ذكرت وجود نواب لمكوك الشايقية في بعض المناطق(17). وكذلك أورد الرحالة السويسري بوركهارت عن سيطرة الشايقية على مناطق دنقلا وعن وجود نائب لهم في أرقو اسمه محمود العدلانابي(18)، إلا أن هذه الروايات تعرضت للنقد، وخاصة أنه لم يزر أرقو ومعلوماته عن هذا الموضوع سماعية؛ وقد فنّد محمد علي طه الملك هذا الادعاء، موضحاً أن وجود محمود العدلانابي في أرقو كان في إطار المصاهرة والتحالف الأسري، لا بوصفه دليلاً على سيطرة سياسية مباشرة، وتكشف دراسة سيرة محمود العدلانابي – ابن الملك شاويش – أن وجوده في أرقو كان دعماً لخاله طمبل السابع في نزاع أسري داخلي، وأنه غادرها بعد استقرار الأوضاع عام 1815م، واجمعت الأسرة على طمبل السابع ملكاً على أرقو[19].

يبدو أن الملك شاويش استفاد من شبكة المصاهرات والتحالفات لخلق توازن سياسي جديد بين ملوك دنقلا ومكوك الشايقية وزعماء كردفان. وقد نجح في تحسين علاقاته مع زعماء بديرية كردفان، والتحالف مع الملك مساعد في المتمة، مما أضعف موقف السلطان هاشم المسبعاوي المتحالف مع مكوك الحنكاب، الذي اضطر إلى الانسحاب إلى شندي، حيث انتهى أمره لاحقاً، كما تشير الوقائع إلى أن شاويش حاول مد نفوذه جنوباً قبيل الغزو التركي عام 1820م، وسيطر على أجزاء من الضفة الغربية للنيل من المتمة وحتى المقرن، وأنشأ قواعد في الضفة الشرقية وهاجم حلفاية الملوك، إلا أن طموحاته اصطدمت بالتوازنات السياسية القائمة، ثم أجهضها الغزو التركي للسودان، ومن أبرز إنجازاته سماحه لأنصار السلطان هاشم بالاستقرار على النيل بشرط ممارسة الزراعة، وهي سياسة تعكس توجهاً نحو الاستقرار وبناء كيان منظم[20]، خلافاً للصورة التي رسختها بعض روايات الرحالة الأجانب والإداريين الانجليز عن الشايقية بوصفها مجموعات امتهنت السلب والنهب [21].

تكشف دراسة العلاقات بين الكيانات السياسية التي خلفت مملكة المقرة عن واقع سياسي مضطرب، تحكمه تحالفات ظرفية أكثر من كونه مشروع دولة متكامل. ومع ذلك، تبرز شخصية الملك شاويش بوصفها محاولة جادة لتأسيس كيان سياسي أكبر على أنقاض المقرة، مستفيداً من الروابط القبلية والمصاهرات والتحالفات العسكرية، ورغم أن مشروعه لم يكتمل بسبب الغزو التركي، فإن المؤشرات تدل على أن فكرة إعادة بناء الدولة كانت حاضرة، وأن ملوك الجعل – في الدفار والشايقية ودنقلا – حملوا في مرحلة ما عبء محاولة إحياء الإرث المقري في سياق تاريخي معقد ومضطرب[22].

الملك شاويش[23]

الخاتمة:

من خلال هذه القراءة المغايرة، يصبح من الممكن التفريق بين مصطلحي الجعل والجعليون، والنظر إليهما بوصفهما مفهومًا تاريخيًا مزدوجًا قابلًا لإعادة القراءة في ضوء التحولات السياسية والاجتماعية التي أعقبت انهيار مملكة المقرة. وقد سعت الدراسة، عبر منهج تاريخي تحليلي، إلى نقد المسلّمات المرتبطة بالأصل العربي الخالص للجعليين، وإعادة وضع المصطلح في سياقه التاريخي، باعتباره جزءًا من حراك إعادة تشكّل الهوية والسلطة عقب انهيار المقرة.

إن إعادة قراءة كلمة جعل ضمن سياقها التاريخي تفتح المجال أمام فهمٍ أكثر تركيبًا لطبيعة الكيانات التي ظهرت في مرحلة ما بعد المقرة، بعيدًا عن الإسقاطات النَّسَبية اللاحقة التي قد تعكس حاجات سياسية واجتماعية لعصور متأخرة أكثر مما تعكس واقع المرحلة الوسيطة نفسها، كما أن استحضار نماذج مثل الملك شاويش، وما ارتبط به من محاولات لإحياء البناء السياسي، يعزّز فرضية وجود مشروع لإعادة إنتاج شكل مملكة المقرة في ثوب جديد، مستند إلى عناصر محلية وإقليمية متداخلة، لا سيما في ظل وجود عوامل مشتركة عديدة بين الكيانات السياسية التي خلفت المقرة وإرثٍ تاريخي وحضاري امتد لأكثر من ألف عام؛ ولا تدّعي هذه الورقة امتلاك الحقيقة النهائية، بل تقدم قراءة تاريخية افتراضية تسعى إلى توسيع أفق النقاش حول تشكّل الهويات السياسية في التاريخ السوداني، والدعوة إلى تحرير البحث التاريخي من ثنائية الانتماء العربي/المحلي بوصفها إطارًا تفسيريًا مغلقًا. فالتاريخ – بطبيعته – سيرورة معقدة من التفاعل والتراكم، وإعادة بنائه تتطلب شجاعة السؤال بقدر ما تتطلب صرامة المنهج.

إن هذه القراءة المغايرة قد تمثل خطوة في اتجاه إعادة التفكير في مفاهيم راسخة، أملًا في الإسهام في كتابة تاريخ سوداني أكثر اتساعًا وتعددًا، يستوعب التعقيد ويحتفي بالتنوع، ويظل مفتوحًا للنقد والمراجعة العلمية المستمرة.

وتوصي الورقة بأهمية تكثيف طرح الأسئلة في موضوعات تاريخ السودان عمومًا، وتاريخ السودان الوسيط على وجه الخصوص، بوصفه حجر الزاوية الذي شكّل الإطار العام للدولة السودانية بتعقيداتها المختلفة. كما تؤكد أهمية دراسة الشخصيات القيادية المؤثرة في تلك الفترات، مثل الملك شاويش، لما قد تسهم به هذه الدراسات في الكشف عن التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتلك الشخصيات، والتي تعكس – في الغالب – طبيعة الأوضاع السائدة في سياقاتها التاريخية.

المصادر والمراجع:

(1) هارولد ألفريد ماكمايكل، تاريخ العرب في السودان بما فيهم الشعوب التي سبقتهم وسكان دارفور، الكتاب الأول، تعريب: سيد محمد علي ديدان، ط1، أم درمان: مركز عبد الكريم ميرغني الثقافي، 2012م، ص 237–238.

(2) سبنسر ترمنجهام، الإسلام في السودان، ترجمة: فؤاد عكود 2001م، ص24-25.

(3) Trimingham, Islamin Sudan, (London 1949).- S.

(4) ل كورباتشيك، النوبة في نهاية القرن الثاني عشر وحتى فتح الفونج في بداية القرن السادس عشر، في تاريخ أفريقيا العام، مج4، اليونيسكو، 1998م.

(5) محمد عبد الرحمن أبو سبيب، أدوات الزينة عند الشايقية وأصولها الثقافية- دراسة في الجمالية الشعبية، أم درمان : مركز عبد الكريم ميرغني (ب. ت.)، ص 25 .26

(6) Kindoms of the Sudan, (1974)., R.S.O, Fahey and J. L, Spaulding

(7) سمير محمد عبيد نقد، غلام الله بن عايد وآثاره في السودان الخرطوم: دار عزة للنشر والتوزيع، 2007م)، ص 21-22

(8) هارولد ألفريد ماكمايكل، المرجع السابق، ص241.

(9) راجع: أحمد المعتصم الشيخ، مملكة الأبواب المسيحية وزمن العنج، القاهرة: مركز الدراسات السودانية، 2002م.

(10) أحمد بن المشهور بـ"النبر"، كراس النسب (مخطوط)، محفوظ ضمن وثائق العباسية، دار الوثائق القومية، نقلاً عن: أحمد المعتصم الشيخ، حاشية ومستخلص من زيارة روبيني للسودان، مقال غير منشور.

(11) س. هيللسون، «داوود روبيني من الأوائل لسنار»، السودان في رسائل ومدونات، العدد 15، 1933م، ترجمة: أحمد المعتصم الشيخ، مقال غير منشور، ص 3.

(12) فاطمة أحمد علي، مقابلة شخصية بمنزلها، الحاج يوسف، الخرطوم، 2017/5/3م. (باحثة في التاريخ والتراث، دكتوراه في تاريخ السودان الحديث، نحو 60 عاماً).

(13) مصطفى محمد مسعد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى: بحث في تاريخ السودان وحضارته حتى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، الخرطوم: دار المصورات للنشر، 2011م، ص 158.

(14) أحمد الياس، «موجز تاريخ وتراث المناطق المجاورة لأعالي النيل الأزرق قبل قيام مملكة الفونج»، مقال منشور على موقع سودانيل (Sudanile).

(15) هارولد ألفريد ماكمايكل، تاريخ العرب في السودان، مرجع سابق، ص-248 252.

(16) راجع: عوض شبّا، الدفار المملكة المنسيّة، ط1، الخرطوم، دار آرثيريا للنشر والتوزيع،2021م.

(17) J. Philips: The southern Dongola Reach survey, The first season (1988) Areview if the Ceramices and other finds. Nubian Studies. Boston 1998. pp. 371383-.

(18) راجع:فاطمةأحمدعليعمر،ملوكالجزرالسبعة(جزرالكاسنجر،الحامداب،أمري،المناصير)،الخرطوم2018م.

(19) عوض شبّا، الدناقلة والشايقية- خلفاء مملكة المقرة، الخرطوم، 2012م، ص71-72.

(20) راجع: جون لويس بوركهارت، رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان(1784-1817م)، ترجمة فؤاد أندرواس، القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، (ب.ت).

(21) راجع: محمد علي طه الملك، مملكة أرقو- إمارة الحاكماب والجوابرة (1400-1817م)، الخرطوم، 2005م.

(22) راجع: جاي سبولدينق، عصر البطولة في سنار، ترجمة: أحمد المعتصم الشيخ، الخرطوم، 2011.

(23) و. نوكلز، الشايقية- وصف لقبائل الشايقية وتاريخ مديرية دنقلا من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة: عبد المجيد عابدين، (ب.ن).

(24) (22) راجع: عوض شبّا، المرجع السابق.

(25) (23) https://share.google/XNgVs52gwh3XMN1zT